التربية على القيم في التعليم الثانوي الإعدادي
اللغة العربية نموذجا

عزالدين المعتصم

تقديم

شهد العالم في العقود الأخيرة تغيرات جذرية وتطورات سريعة أثرت على حياتنا في شتى المجالات، مما فرض على المهتمين بالحقل الفكري والتربوي التفكير في تقديم حلول تناسب هذا التسلسل من الأحداث لكي يتمكن الفرد من التأقلم ومواكبة الركب الحضاري والتكنولوجي والمدني، عن طريق تطوير مهاراته وتنمية مكتسباته بهدف تجاوز الصعوبات ورفع التحديات التي تواجهه وتواجه مجتمعه.

تماشيا مع هذا الوضع ولج نظام التربية والتكوين بالمغرب في العصر الراهن منعطفا حاسما، أعلن فيه عن ميلاد المدرسة المغربية الجديدة التي أفرزت مصطلحات جديدة أسست لمفاهيم مبتكرة وأعلنت القطيعة التامة مع تصورات ظلت مهيمنة ردحا كبيرا من الزمن. ومن هذه المفاهيم الجديدة نجد مفهوم التربية على القيم في المدرسة الحديثة، إذ تعد المؤسسة المدرسية دعامة أساسية من دعامات بناء المشروع المجتمعي المغربي، وركيزة هامة من ركائز إنجاح المشاريع التنموية التي انخرطت فيها بلادنا في الألفية الثالثة، فهي التي توفر للأفراد والجماعات فرص التفاعل فيما بينهم، كما أنها تعمد إلى تربية الأطفال وتكوينهم وفق الثقافة التي تمثلها كمؤسسة مدرسية، لذا فإن التربية المعاصرة جعلت من أحد مبادئها الرئيسة البدء بمعرفة الطفل قبل تعليمه.

وفي هذا الإطار، تهدف هذه الدراسة إلى محاولة البحث عن السبل الكفيلة بتعزيز القيم داخل المدرسة المغربية. لأن مصطلح التربية على القيم تغلغل في مناهج التعليم وبرامجه ومقرراته، وأصبح معيارا تقويميا، تقاس به جودة النظام التعليمي برمته. فما المقصود بالقيم في الحقل التربوي؟ وكيف تسهم في اختيار غايات التربية وأهداف التدريس بالمدرسة المغربية؟

مفهوم القيمة valeur

القيم، وفق معاجم اللغة، هي جمع قيمة، «وأصل القيمة الواو، ومنه: قوَّمت الشيء تقويما، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك[1]. قال الفيروز آبادي في القاموس: «القيمة بالكسر: واحدة القيم، وما له قيمة، إذا لم يدم على الشيء. والقَوام: العدل وما يعاش به. والقِوام: نظام الأمر وعماده وملاكه»[2]. ويعرف قاموس علم النفس «القيمة» valeur بأنها الاهتمام الذي يوليه الفرد لموضوع ما، أو إنه التقدير الذي لدينا لشخص معين. ويضيف بأن مفهوم القيمة مفهوم ذاتي؛ فالقيم تختلف باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف، ومن ثم، فهي مرتبطة بإشباع الحاجات. ذلك أن موضوعا ما له قيمة معينة، بقدر ما إذا كان مرغوبا فيه أم لا[3].

وإذا كان مفهوم القيمة له علاقة وثيقة بالميول والاهتمامات، فإن هناك من يعرف القيم في علاقتها بالغايات والمقاصد السلوكية. فالباحث محيي الدين أحمد حسين يعرف القيم بأنها مكون نفسي (تركيبة وجدانية) مؤلفة من عدد من الميول والاتجاهات المكتسبة بفضل التنشئة الاجتماعية[4] للفرد، تلك التنشئة التي عادة ما تنسجم مع نموذج الإنسان المنشود، وتتطابق مع المثل العليا التي يحتضنها المجتمع.

يتضح أنه ليس من الضروري وضع حد فاصل ونهائي بين القيم والمثل العليا؛ فالقيم عبارة عن مفاهيم سلوكية تدفع بالفرد إلى الانتماء والاختيار في مجالات الحياة وفق اهتماماته واتجاهاته وتقديره للأشياء التي يحتك بها خلال حياته، سعيا لإرضاء نفسه وإشباع حاجاته. كما تعد منظومة القيم مطلبا أساسيا، لأنها تمنح الأشياء طعما وتمكن من البحث المستمر عن معنى الحياة، وتحقيق مثال المجتمع ونموذج الإنسان، واكتمال شخصيته واندماجه في المجتمع.

ويتفق معظم الباحثين على أن عملية تربية الطفل على القيم تبدأ في سن الثالثة، أي في مرحلة الطفولة المبكرة، فمرحلة المراهقة، ثم مرحلة النضج التي يتحدد فيها سلوك الفرد، نتيجة لخبرات التنشئة التي تلقاها الفرد في مرحلة الطفولة والمراهقة[5]. ويتقبل الطفل المفاهيم والقيم وفقا لمرحلته العمرية، فلكل مرحلة عمرية للطفل خصائصها الخاصة التي تمكنه من تقبل وتفهم بعض المفاهيم دون سواها. ومن هنا يتبين أن لمنظومة القيم علاقة وثيقة بالتنشئة الاجتماعية، فعلى الرغم من أنها عبارة عن مفاهيم انتقائية يقوم بها الفرد الإنساني في موقف معين بمحض اختياره، فإن هذا الاختيار لا يعدم أسسه بالواقع الاجتماعي الذي ينشأ فيه بكل حمولته الثقافية.

ويقصد بالقيم في المعجم التربوي مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال، ويكون لها قوة الالتزام والضرورة العمومية، ويعتبر أي خروج عنها بمثابة انحراف عن الجماعة ومثلها[6].

إن القيم، بصفة عامة، هي الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات والأشياء، كما أنها عبارة عن المثل والمبادئ والميول التي توجه سلوك الناس وتنظمه. «وترتبط تلك الميول والاتجاهات وتتمحور حول موضوع ما، يُقَوَّم من طرف الفرد ويُثَمَّن بعدما يكون قد قُوِّم وثُمِّنَ من طرف الجماعة التي ينتمي إليها. وذلك بناء على العديد من الاعتبارات، منها ما هو عقلي، ومنها ما هو وجداني، منها ما هو شعوري، ومنها ما هو غير شعوري»[7]. ومهما تمكنت تلك التشكيلة من الفرد وتغلغلت في كيانه الشخصي العميق، إلا وأصبحت عاملا من عوامل التأثير في أفكاره وتوجيه سلوكه واختياراته، كما تصبح الموضوعات التي تمثلها القيمة أهدافا وغايات يسعى لبلوغها.

يتضح أن القيم هي ذلك النسق من المعايير التفضيلية والسلوكيات المرغوبة، والتي يمكن للتربية نقلها وتنميتها عن طريق التنشئة الاجتماعية والتفاعل في المواقف التعليمية التي تتجسد انطلاقا من ممارسات لفظية وحركية مباشرة وغير مباشرة، يمكن وصفها بأنها ممارسات يبرز فيه الخلق الحسن. لأن القيم تعد جانبا متساميا ومتعاليا يجعلنا ننشدها دائما، كما تعتبر واقعا مرتبطا بالمجتمع وبتطوره وتغيره، وبالإنسان ونموه. ودون أن نقول إن لأحدهما أسبقية أو امتياز على الآخر، نعتقد أن القيم هي، بالضبط، ما يمنح المثل العليا بعدها الإنساني وطابعها النسبي وما يشدها إلى دنيا الواقع.

إن المحيط السوسيو ثقافي الذي يعيش فيه الفرد ، بكل ما يتميز به من نظم وتقاليد وأعراف اجتماعية تمارس عليه تأثيرا مباشرا أو غير مباشر، بشكل يؤدي إلى بلورة قيمه وتحديدها بشكل معين. غير أن المجهودات التي بذلت في ميدان التعليم جد عديدة ومتنوعة، ولكنها ركزت في معظمها على الجانب المادي للعملية التعليمية كالتجهيز والبناء وتوفير الكتب المدرسية، بيد أنها أهملت، لحد بعيد، البعد الإنساني في هذا التعليم والتكوين الذي نريد له أن يكون تربية وليس مجرد تعليم. وعلى هذا الأساس سنعمل على استخلاص القيم التي تعمل المدرسة المغربية، على غرسها في وجدان الطفل والمراهق على وجه الخصوص. وذلك من خلال مقاربة كتب اللغة العربية المعتمدة في السلك الثانوي الإعدادي بهدف الإجابة عن الإشكالية التالية: ما نوع القيم السائدة في النظام التعليمي المغربي؟

2 - المدرسة المغربية والقيم من خلال المناهج التعليمية والكتب الدراسية

تكتسي المناهج والبرامج في النظام التعليمي أهمية بالغة لكونها تشكل جوهر المدرسة ومحور اضطلاعها بوظائفها بكافة الأسلاك التعليمية والتكوينية، فهي تعبر عن الخيارات الكبرى للمجتمع وتعكس ثقافته وقيمه، وتشتمل على المعارف والكفايات الضرورية لتكوين مواطناته ومواطنيه وتلبية حاجاته من الموارد البشرية المؤهلة.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتب المدرسية مجرد وثائق محددة وثابتة نسبيا، والأهم من كل ذلك أنه يتم العمل بها في جميع أنحاء المغرب وأقاليمه؛ فهي مقررة وإلزامية. وهذا عنصر مهم يجعل تحليل مضامينها ومعرفة توجهاتها أمرا ضروريا لكل معرفة تروم الكشف عن الفلسفة التربوية السائدة في المدرسة المغربية، وعن تسلسل القيم في النظام التعليمي ككل. ويذهب بعض الباحثين التربويين إلى اعتبار الطرائق الضمنية، كاتجاهات المدرسين وممارساتهم وأنشطتهم الديداكتيكية، تدخل بدورها ضمن مضامين المقررات والبرامج الدراسية، التي تمارس على المتعلم تأثيرا بالإيجاب أو بالسلب. وغير خاف أن مضامين المقررات والبرامج الدراسية، تخضع للمراجعة والتغيير المستمر، حتى يضمن لها ملاءمة التحولات والتغيرات التي تطرأ على العالم باستمرار، والتي ينبغي للمدرسة مواكبتها حتى لا تسقط في وضع يجعلها متأخرة عن عصرها[8].

واستنادا إلى الاختيارات والتوجهات التربوية في مجال القيم المتمثلة في: قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية والقيم الإنسانية، أمكن تفعيل هذه القيم، والعمل على تصريفها عبر جملة من الإجراءات تكمن في اختيار نصوص حاملة في أصلها وطبيعتها لهذه القيم، مع الحرص على عدم إغفال استثمار أبعادها من خلال تقريب النصوص الحاملة تحليلا وتركيبا وتنشيطا. وانسجاما مع هذه التوجهات، وعملا على بلورة القيم المستهدفة، في سياق الأنشطة اللغوية المبرمجة في كتاب التلميذ، تم إدراج هذه القيم بشكل صريح أو ضمني في ثنايا النصوص القرائية المختارة، حتى يتشبع التلاميذ بمفاهيمها وأبعادها الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والإنسانية.

2-1 - القيم الإسلامية

تعد القيم الإسلامية أمرا لا غنى عنه في المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، والإسلامية بصفة خاصة، ولهذا الغرض اختيرت نصوص بمرجعية هذه القيم التي تتغلغل بجذورها الثابتة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمذهب المالكي الذي يؤطر المجتمع المغربي فكرا وسلوكا. وتأتي أنشطة الاستثمار لتؤصل هذه القيم، وترسخها في نفوس المتعلمين وسلوكاتهم، كي يتشبعوا بروح هذه القيم ويجدوا فيها ما يساعد على سمو سلوكهم الديني داخل مجتمع تسيطر عليه التوجهات المادية في الطموح والتفكير والسلوك.

الكتاب المدرسي	المستوى	الوحدة أو المجال	الدروس	الصفحة
المفيد في اللغة العربية[9]	الأولى ثانوي إعدادي	القيم الإسلامية	- يا بني - حق المسلم على المسلم - إنه من أهل الجنة - الإسلام دين العمل	8 20 28 34
المرجع في اللغة العربية[10]	الثانية ثانوي إعدادي	القيم الإسلامية	- التضامن الاجتماعي - من مكارم الأخلاق - الإسلام دين الرحمة - قرآن الفجر	8 18 26 30
مرشدي في اللغة العربية[11]	الثالثة ثانوي إعدادي	القيم الإسلامية	- من قيم الإسلام - ضرورات لا حقوق - الفجر الصادق - الإنسان في الإسلام	9 19 27 33

يتضح لنا، في ضوء هذا الجدول أن القيم الإسلامية حاضرة بقوة في مقررات الكتب المدرسية بالتعليم الثانوي الإعدادي الصادرة وفق مرجعيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ووفق المفهوم الجديد للمدرسة المغربية الجديدة، إذ يطمح الكتاب المدرسي إلى ترسيخ جملة من القيم الإسلامية في نفوس المتعلمين.

وليس من الضروري أن تكون النصوص المقروءة مستلهمة من التراث الإسلامي حتى تزخر بالقيم الإسلامية، ولكن المهم أن تنهض بالقيم والإيحاءات والرموز الدينية من خلال الحوار والأحداث. ومن أهم القيم الإسلامية التي يهدف الكتاب المدرسي إلى ترسيخها في وجدان التلاميذ قصد خلق أطفال أسوياء اجتماعيا، نجد قيمة الصدق، وقيمة العدل، وقيمة الأمانة، وقيمة القناعة، وقيمة الوفاء بالعهد، وقيمة الرحمة، وقيمة التواضع وإنكار الذات.

تعد، إذن، القيم الإسلامية مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الاجتماعي، فهي تتغلغل في حياة الناس، أفرادا وجماعات، بدوافع السلوك والآمال والأهداف[12]. كما يؤكد إميل دوركهايم على التربية الأخلاقية كمحور لعملية التنشئة التي تزود الأفراد بتصورات المجتمع ومعاييره وأنماط سلوكه، وبالتالي تواصل الفرد بجماعته التي هو عضو فيها[13]. لأن التربية والأخلاق وجهان لعملة واحدة، فلكي تقدم تربية لا بد أن ترتكز على الأسس الروحية والخلقية، ولكي تنمي وتغرس المبادئ والقيم الخلقية في النشء لابد من التربية بجميع طرائقها

ومحتوياتها وممارساتها لربط المضمون الفكري والروحي بالواقع العملي الذي يعيشه أبناؤنا، لتصبح هذه القيم موضع التطبيق والممارسة[14]. ومن تم تظهر العلاقة الوظيفية التبادلية بين التربية والأخلاق، ومساحة التقائهما تكون على صعيد القيم.

وتبعا لذلك، نستشف أن مضامين ومحتويات الكتاب المدرسي تروم تربية الطفل المغربي تربية دينية متينة تستمد مقوماتها من تعاليم ديننا الحنيف. وفيما يلي سوف نقوم بالتعرض لأهم القيم الوطنية والإنسانية التي تضطلع بها كتب اللغة العربية في الثانوي الإعدادي.

2-2 - القيم الوطنية والإنسانية

استثمرت، في مجال القيم الوطنية والإنسانية، نصوص نثرية وشعرية تناولت هذه القيم بالدراسة والتحليل مستلهمة العناصر الاجتماعية والثقافية للمجتمع المغربي التي حافظت على وحدته الوطنية وتماسكه الاجتماعي. ويقصد بالقيم الوطنية مجموعة من القيم التي تعكس شعور الفرد بالولاء والانتماء للوطن والنظام السياسي القائم، وتتمثل هذه القيم في تحقيق العدالة، وترسيخ الديمقراطية والتمسك بالحرية، وغيرها من القيم الوطنية والإنسانية التي تشكل شخصية الأطفال ووجدانهم، وتحدد قدراتهم على التكيف مع المجتمع.

لقد عملت النصوص الواردة في الكتب المدرسية- قيد الدرس- على ترسيخ قيمة الانتماء إلى الوطن وهي مقابل الاغتراب الذي يجد فيه الفرد نفسه عاجزا تماما أمام ما يسود المجتمع الذي يعيش فيه من أنظمة اجتماعية فاسدة، وهذه الأنظمة تقف حائلا دون تحقيق أهدافه وتطلعاته ورغباته، مما يدخله في مجال العزلة الاجتماعية بانعزاله عن المجتمع[15].

فضلا عن هذا كله، سعت النصوص إلى ترسيخ قيم: المجد، والحرية، والوطنية، زيادة على التسامح والتضامن والمساواة، والإعلاء من شأن ما هو إنساني في ثقافة هذا المجتمع، وانفتاحه على ما هو إيجابي في العلاقات الإنسانية بين دول العالم، لاسيما تلك التي تربطنا بها وشائج الانتماء الجغرافي والديني واللغوي.

الكتاب المدرسي	المستوى	الوحدة أو المجال	الدروس	الصفحة
المفيد في اللغة العربية	الأولى ثانوي إعدادي	القيم الوطنية والإنسانية	- وصية	50
			- الأطلس	56
			- قيمة الإنسان	64
			- هدية لأمي	68

المرجع في اللغة العربية	الثانية ثانوي إعدادي	القيم الوطنية والإنسانية	- المرأة وحق العمل - درس في الوطنية - 11 يناير - ثقافة حقوق الإنسان	54 62 70 74
مرشدي في اللغة العربية	الثالثة ثانوي إعدادي	القيم الوطنية والإنسانية	- الفداء ... حتى النصر - الوطن والوطنية - كلنا نرجو السلام - من أجل مجتمع أفضل	47 56 63 69

يتضح، من خلال الجدول، أن اللغة العربية تربي الطفل تربية وطنية، وتثقفه تثقيفا صالحا. ومرد ذلك إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية هي الإطار العام الذي يضم بداخله مجموعة من العمليات تتمثل في القيم الإسلامية والوطنية والإنسانية، وإن هذه العمليات إنما تعبر عن الجوانب المختلفة لتنشئة الطفل في المجتمع، كما أنه من الصعب الفصل بين تلك العمليات المتعددة لتنشئة الطفل بعيدا عن الإطار العام الذي يضمها في بوتقة واحدة، وهي التنشئة الاجتماعية.

2-3 - القيم الاجتماعية

ويقصد بالقيم الاجتماعية تلك القيم التي تحكم العلاقات بين الأفراد، وتحدد المواقف والاتجاهات بالنسبة لعدد من القضايا الفكرية والاجتماعية، كما تحدد أنماط السلوك، فيختار منها الفرد مجموعة من القيم التي تساعد عملية تطوره ونموه، يدعمها ويحافظ عليها ويعمل على تعديل القيم التي تعوق حركته أو تعطل نموه[16]. ويمكن أن نشير إلى بعض القيم الاجتماعية التي يتضمنها الكتاب المدرسي بالتعليم الثانوي الإعدادي مثل: قيمة تحمل المسؤولية، قيمة التعاون، وقيمة العمل ونبذ التواكل، وقيمة الإصغاء لنصائح الكبار وطاعتهم. وذلك وفق الجدول التالي:

الكتاب المدرسي	المستوى	الوحدة أو المجال	الدروس	الصفحة
المفيد في اللغة العربية	الأولى ثانوي إعدادي	المجال الاجتماعي والاقتصادي	- المتشرد - الأصدقاء الجدد - المعذبون	118 140 146

المرجع في اللغة العربية	الثانية ثانوي إعدادي	المجال الاجتماعي والاقتصادي	- آمنة - بن سيدي رحيل - لا أفلح في تعليمهم - التنمية الشاملة	118 133 139 149
مرشدي في اللغة العربية	الثالثة ثانوي إعدادي	المجال الاجتماعي والاقتصادي	- البيت - لحظة غضب - سلوك مدني - دور المرأة في الاقتصاد الوطني	111 121 129 135

إن ترسيخ القيم الاجتماعية في وجدان المتعلم تعني إكسابه المفاهيم والعادات والاتجاهات والقيم السائدة في مجتمعه، بالإضافة إلى القيم التربوية والاجتماعية والثقافية، التي يتمكن من خلالها من التفاعل والتكيف مع المجتمع. ويعتبر هذا الاكتساب تعلما اجتماعيا، ويتم ذلك عبر مجموعة من الوسائط. وقد "اتضح للباحثين في مجال دراسة القيم أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة لدى الفرد بمعزل عن قيمة أخرى مرتبطة بدورها بمجال سلوكه واهتماماته"[17]. لذلك تلعب المقررات التربوية دورا هاما في تنشئة الطفل بواسطة عملية التعلم الاجتماعي، وتلقينه قيم المجتمع سواء أكانت سلوكية أم دينية أم اجتماعية، وذلك بشكل غير مباشر.

2-4 - القيم الثقافية

قبل العمل على تحديد القيم الثقافية الواردة في الكتب المدرسية – موضوع الدراسة- لابد من التعرف على مفهوم الثقافة، فهناك تعريفات كثيرة لمدلول هذه الكلمة، إذ نجد البعض يحصرها في مجموعة المعارف والأفكار وأشكال الإبداع الفني والأدبي المختلفة، والبعض الآخر يعتبرها ذات بعد اجتماعي. لذا يقال عنها إنها فوق فردية، لأن عناصرها المتباينة لا يمكن أن تكون ذات طابع فردي. ومن هنا جاء نعت الثقافة بأنها ذات صبغة اجتماعية، وهي ليست نتاج فرد أو بضعة أفراد، ولا جيل أو بضعة أجيال، بل هي نتاج المجتمع، رغم أن هناك أفرادا أثروا ويؤثرون في ثقافات مجتمعاتهم[18].

ولكن السائد هو التعريف الذي يتجه إلى اعتبار الثقافة المحصلة النهائية لإفادة الإنسان من المعارف والعلوم والآداب والفنون، وكذلك من التقاليد والعادات لتطور ملكاته العقلية ومهاراته اليدوية والفنية، وصقل وجدانه ليحرك كل إرادته في مواجهة الظروف المحيطة[19]. وغالبا ما يرغب النظام المدرسي في تعزيز الثقافة العامة للمتعلم، وزيادة خبراته ومعلوماته

عن المجتمع، وإثراء الحصيلة اللغوية لديه، وإكسابه العديد من المهارات والقدرة على التصرف في المواقف الحياتية. وفي هذا السياق نلفي كتب اللغة العربية – موضوع الدراسة- تسعى إلى مساعدة المتعلم على امتلاك القيم الثقافية على اختلاف مستوياتها:

الكتاب المدرسي	المستوى	الوحدة أو المجال	الدروس	الصفحة
المفيد في اللغة العربية	الأولى ثانوي إعدادي	المجال الفني والثقافي	- السينما والمسرح - زرياب في الأندلس - رقصة أحواش - حب المسرح	192 200 208 220
المرجع في اللغة العربية	الثانية ثانوي إعدادي	المجال الفني والثقافي	- ألسنة الشعب - الحلقة - أصدقائي الستة - أصول الثقافة المغربية	191 199 207 215
مرشدي في اللغة العربية	الثالثة ثانوي إعدادي	المجال الفني والثقافي	- عبقرية الخط العربي - الموسيقى الشعبية المغربية - رقصة تاسكيوين - هكذا تعلمت	191 201 208 219

تساعد القيم الثقافية على إكساب الأفراد العديد من المعارف والأفكار، وأشكال الإبداع الفني والأدبي المختلفة، بالإضافة إلى تقاليد المجتمع وعاداته وتراثه وفنونه. وهذا يعني أن الثقافة تشتمل على أنماط السلوك التي يكتسبها الإنسان مشاركا فيها أعضاء مجتمعه، أو هي بتعبير آخر، كل ما يتعلمه الإنسان ويتصرف على أساسه مشاركا الآخرين فيه، إضافة إلى كونها نمط من الأفكار والقيم التي تدعم ذلك السلوك، حيث إن كل عنصر من عناصر الثقافة يتضمن سلوكا معينا[20].

وقد تم التركيز في تقريب النصوص المتضمنة للقيم الثقافية، خاصة في جانبها الاستثماري، على ما نصطلح عليه اليوم في أدبيات الثقافة المعاصرة ب»حوار الحضارات»، حيث يتعرف التلاميذ

من خلال هذه المقاربة، قيم الحوار وما ينطوي عليه من إيجابيات في العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول، بهدف تأسيس تقاليد ثقافية جديدة تأخذ بعين الاعتبار مبدأ الحوار أساسا في تقارب الأفراد والشعوب والمجتمعات وحل المشكلات والخلافات المستعصية في ما بينها.

وفي السياق نفسه، يمضي استثمار النصوص لما تبقى من القيم عبر المجالات الأخيرة كقيم حقوق الإنسان التي تم الحرص على تقريبها انطلاقا من نماذج حية مستمدة من واقع التلاميذ في سلوكاتهم اليومية، أو من بعض الظواهر الاجتماعية التي يمكن رصدها وملاحظتها على مستوى التعامل وأنماط التصرف إزاءها. مثل هذه الظواهر وما تقابل به من أشكال التصرف في بعدها الإيجابي أو السلبي، توضَع موضع نقاش وحوار بين التلاميذ لتقويم مدى صحة التصرف الذي قوبلت به.

نستخلص مما سبق، أن المدرسة المغربية تعمل، من خلال المقررات التعليمية، على تدعيم القيم الإيجابية وتقديم النموذج الإيجابي الذي يتوحد معه المتعلم، فضلا عن الجانب الفني الهادف الذي يساعد على إمتاعه من جهة، وتمثله لثقافة بيئته وقيمها وأعرافها من جهة أخرى، حتى يتكيف مع مجتمعه.

3 - دور المدرس في تعزيز القيم

إن ترسيخ القيم النبيلة خلال مرحلة التدريس، يقتضي تغييرا جوهريا لعلاقة المدرسين بالمعرفة، ولطرق إنجازهم لمهامهم، ولكفاياتهم المهنية الخاصة. ولربما أمكن القول مع الباحث فليب ميرو بأن الهدف المرتجى، صار هو إقرار مهنة جديدة، رهانها الأول هو تعليم التلاميذ وليس تدريسهم، على اعتبار أن المدرس هو المحرك الأساس في تفعيل دور المدرسة وغرس القيم في نفوس الناشئة.

وتجدر الإشارة إلى أن تعزيز القيم في نفوس الناشئة يستلزم «ثورة ثقافية» للانتقال من منطق التدريس إلى منطق التدريب، القائم على مسلمة بسيطة، تتلخص في أن القيم لا تكتسب إلا في ظل وضعيات عمل مركبة باستمرار. أما مهمة المدرس[21] في هذا الإطار، فإنها لا تقوم على ارتجال الدروس، ولكنها ترتكز على ضبط وتسوية سيرورة التعلم، وعلى بناء مشكلات متزايدة التعقيد. ويظهر من خلال هذا المثال بأن الرهان معقود على نشوء ابستيمولوجيا جديدة، وعلى تمثل مغاير لطرق بناء المعارف في ذهن المتعلم.

ومن هذا المنطلق فإن اختيار التربية على القيم في المنظومة التربوية ببلادنا، يستدعي من المدرس تغييرات جوهرية في هويته المهنية، تتجلى في إعادة بناء صورته المهنية على دعامات وظائف جديدة، أهمها وظيفة المدرب الذي لا تقوم كفاءته على عرض المعارف بطريقة خطابية، ولكن على اقتراح وإقامة روابط بين المعارف والوضعيات المناسبة لها[22]. زيادة على اعتماد نقل

ديداكتيكي مركب، يستلهم الممارسات الاجتماعية من جهة، والمعارف العالمة التي تسندها من جهة ثانية، الأمر الذي يستوجب تكوينا دقيقا في علم النفس المعرفي وفي الديداكتيك، وتبني رؤية سوسيولوجية تسمح للمدرس بالتمثل الصحيح للقيم المتوخاة من المنهاج التعليمي والتي يحتاجها المتعلمون في حياتهم اليومية، مما يجعلهم يأخذون موقفا إيجابيا، وينخرطون تلقائيا في تفعيل مبادئ العقد الديداكتيكي المقترح عليهم، والقائم على احترام شخصياتهم وآرائهم. وحينها يتحولون إلى شركاء نشيطين ومبدعين، يتعاونون مع مدرسيهم، بهدف التفكير في مشاريع جديدة.

يعد المدرس هو ممثل المدرسة في تسيير وإخراج الموقف التعليمي، إذ لم يعد دوره يقتصر على تلقين المعلومات، بل أصبح مطالبا بتربية الناشئة وإعدادهم للحياة جسميا وروحيا وخلقيا. ولعل من أفضل أشكال تدريب الشخصية المتعلمة وتربيتها ذلك السلوك المرتبط بمواقف سلوكية حية وواقعية، فالإكثار من النصح والإرشاد والموعظة بعيدا عن المواقف والمشكلات الواقعية، يفقد هذا النصح وذلك الإرشاد جدواه وفاعليته، ولذلك يجب على المدرس تحفيز التلاميذ على ترجمة كثير من القيم كالنظافة، والتعاون، والتسامح، والنظام، والصدق (...) من خلال مواقف ومشكلات يومية داخل الفصل وداخل المدرسة أو خارجها[23].

إضافة إلى ذلك فإن الأبحاث التي أجريت حول المقاربات التربوية الفاعلة في التربية على القيم تجمع على ضرورة دمج البعدين المعرفي والانفعالي، وذلك باعتماد التجارب الشخصية والجماعية كخلق محور للتأمل والتفكير والتحليل والمناقشة وتمثل الأدوار والتبصر بعواقب الأمور، فمسألة النقاش حول المواقف الإيجابية بحاجة أن يتتبعها المدرس بالتحفيز، الذي تترتب عنه جملة من الإيجابيات نذكرها على النحو التالي:

يبعث التحفيز على الطموح في نفس المتعلم ويشجعه على العمل.

يهدف المتعلم إلى بذل الجهد من أجل تطوير العمل وتحسينه ورفع مستواه.

يدل على التقدير والاحترام لما سيقوم به ويطمح إليه.

يعكس مدى الجهد الذي قام به المتعلم.

نستخلص أن قضية تعزيز القيم في نفوس الناشئة تستوجب من المدرس الاهتمام بشخصية المتعلم جسميا وعقليا ووجدانيا وخلقيا وسلوكيا، فعلاوة على المعرفة التي يكسبها للمتعلم يجب أن يسعى إلى إكسابه مجموعة من القيم والاتجاهات المقبولة اجتماعيا، كما ينمي لديه الأخلاق والمعايير الخلقية القويمة، ويغرس لديه العادات السلوكية والإيجابية وينميها بمختلف السبل ومن خلال مختلف المواقف الهادفة. فالمدرس يقوم بدور إرشادي توجيهي ووقائي

وعلاجي في آن واحد[24]. ولهذا خليق به أن يتوفر على مجموعة من الخصائص والصفات التي تؤهله للرفع من مردودية العملية التعليمية التعلمية والارتقاء بالفعل التربوي وغرس القيم في نفوس المتعلمين.

خاتمة:

إذا كانت الغاية القصوى للتربية والتعليم هي إسعاد الإنسان والإعلاء من شأن المجتمع، فإن هذه الغاية لا تتحقق بمعزل عن المثل العليا والقيم الأخلاقية والاجتماعية التي ينشد المجتمع إشاعتها وترسيخها في الناشئة أطفالا ومراهقين. وهكذا فإنه انطلاقا من تلك القيم والمبادئ السامية وانطلاقا من فلسفة المجتمع بشكل عام، يمكن استخلاص ملامح نموذج الإنسان المغربي المنشود.

إن ارتباط التدريس بتطور العلوم والتقنيات، وبالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبالتفكير التكنولوجي، بشكل عام، لا يعني إغفال الغايات السامية التي تحدد هويتنا كمغاربة ومسلمين، وبالتالي الارتقاء بالإنسان الذي يبقى الهدف الأسمى من كل تربية وتدريس. وإذا كان المشكل الأساس الذي يواجه المؤسسات التربوية، هو كيفية الإسهام في الاضطلاع بدورها الرئيس في إنماء شخصية الطفل في مختلف مراحل حياته التي يقضيها في المؤسسات، فإننا نقترح ما يلي:

- يتطلب من المدرسة المغربية أن تبني البرامج والمقررات الدراسية على أسس تراعي توفير الجو الذي يتيح للمتعلمين فرص ممارسة مختلف التجارب التي تكسبهم غنى ونضجا في الشخصية عن طريق تحفيزهم ومنحهم الثقة في الذات واحترامها، والإحساس بهويتهم وانتمائهم الوطني والثقافي.

- ينبغي أن يكون المدرس على دراية تامة بأساليب التربية الحديثة، حتى يوازن بين عمله داخل الفصل الدراسي وطرحه لقضايا التنشئة الاجتماعية للمتعلم.

- يجب أن يدرك المدرس مدى الاختلاف الواضح بين طفل الأمس وطفل اليوم، وذلك نظرا للتطور التكنولوجي الرهيب وقنوات الاتصال المفتوحة على العالم بأسره.

- تستدعي قيم التنشئة الاجتماعية المقدمة للطفل توافر الجانب الترفيهي؛ فلا غنى لأحدهما عن الآخر، وعلى المربي أن يوازن بينهما كي ينجح في رسالته، وما يطرحه من قيم تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية.

- من الضروري، بالنسبة للمدرس، معرفة القيم السائدة في مجتمعه والمثل العليا التي يطمح إليها نموذج الإنسان المنشود، حتى يتمكن من تكوين نظرة واضحة عن المطلوب منه وعن

الأهداف التربوية والتعليمية التي سيعمل على نشرها وترسيخها بين المتعلمين، وبالتالي ابتكار أنجع السبل وأقوم الطرق لبلوغها.

الهوامش

1. ابن فارس (1979): «معجم مقاييس اللغة»، تحقيق: عبد السلام هارون، ج5، ط2، دار الفكر، بيروت.
2. الفيروز آبادي (د. ت): «القاموس المحيط»،ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، ص. 168.
3. 3-Norbert Sillamy (1980) , Dictionnaire de la psycologie, Bordas, Paris, , P. 20
4. يقصد بالتنشئة socialization، تلك العملية التي تقوم على تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، بحيث يصبح متدربا على تفعيل مجموعة من الأدوار التي تحدد نمط سلوكه اليومي.
5. أمل خلف (2006): «التنشئة السياسية لطفل ما قبل المدرسة، تطبيقات وأنشطة تربوية»، عالم الكتب، القاهرة، ، ص. 31.
6. لطفي أحمد بركات (1984): «المعجم التربوي»، منشورات دار الوطن، الرياض، ص، 113.
7. محمد الدريج (1990): «التدريس الهادف»، منشورات كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط ، ص. 154.
8. G. Mialaret (1991): «pédagogie général», R. U. F, Fondamental, Paris, p. 199.
9. المفيد في اللغة العربية (2005): «كتاب التلميذ، السنة الأولى من التعليم الثانوي الإعدادي»، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب.
10. المرجع في اللغة العربية (2010): «كتاب التلميذ، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي»، الدار المغربية للكتاب للنشر، المغرب.
11. مرشدي في اللغة العربية (2015): «كتاب التلميذ، السنة الثالثة من التعليم الإعدادي»، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب.
12. فادية عمر الجولاني (1997): «دراسات حول الشخصية العربية»، مكتبة الإشعاع

الفنية، القاهرة، ص. 17.

13. المرجع نفسه، ص. 17

14. محمد الفلاحي (1992): «دور التربية في غرس القيم الخلقية في نفوس الناشئة»، ضمن ندوة الثقافة والعلوم، أبو ظبي، ص، 57.

15. حسن سعد (1986): ا»لاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة،بين النظرية والتطبيق»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص. 18.

16. سعد لبيب (1984): «دراسات في العمل التلفزيوني»، الدار العربية للنشر، بغداد، ص. -41 42.

17. أحمد أوزي (2000): «المراهق والعلاقات المدرسية»، منشورات مجلة علوم التربية، ع. 8، الدار البيضاء، المغرب، ص. 162.

18. هادي نعمان الهيتي (1978): «أدب الأطفال»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، ص. 26.

19. سعد لبيب، دراسات في العمل التلفزيوني، (مرجع سابق)، ص. -39 40

20. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، (مرجع سابق)، ص. 25

21. يقصد بمهمة المدرس في هذه الدراسة، مجموعة الأعمال والأنشطة والتوجيهات والإرشادات والنصائح والإيضاحات التي يقوم بها المدرس من أجل تنمية القيم لدى المتعلمين.

22. روجيرز بيرونو (2004): «بيداغوجيا الكفايات»، ترجمة: محمد حمود، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، ص، 89.

23. السيد سلامة الخميس (2000): «التربية والمدرسة والمعلم، قراءة اجتماعية ثقافية»، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص، 270.

24. المرجع نفسه، ص، 270.